طريقة صنع الزوجات والأمهات

عند تركيا جارتنا القريبة

كان جماعة من المتوقرين يأخذون على النهضة التركية الحديثة إغراقها فى تقليد المجتمع الأوربى ، وإهمالها لكل ما أثر عن المجتمع الشرقى من تحفظ واستمساك بالتقاليد . وكانت هذه الجماعة تغلو فتزعم أن كل ما أثمرته النهضة من قوة وعزة وتقدم ورقى لا يكاد يوازى ما حطمته من التقاليد الاجتماعية ، وما أزالته من قواعد المجتمع الشرقى .

فالآن يبدو أن هـذه دعوى مبالغ فيها ، أو أن عقلاء الأمة التركية قد أخذوا يفيقون من نشوة النصر وينتبهون لقوة التيار التى تجرفهم بعنف . ومن يقرأ الخبر التالى الذى ورد باحدى برقيات الأهرام ، لايشك لحظة فى حقيقة هذا الذى نقول :

" جاء من أنقرة أن وزارة المعاف أصدرت أمرا يقضى بأن تلتزم التلميذات والمدرسات جانب الاعتدال فى ملابسهن فيستغنين عن مظاهر البذخ والترف لأسباب منهـا أولا : قلة المواد اللازمة التى تصنع منها الملابس ؛ وثانيا : تجنب انصرافهن عن مواصلة التعليم ... وفى جملة ماحرم عليهن لبس الجوارب الحريرية والأحذية ذات الكعوب العالية ، وكذلك منعهن من تجميل وجوههن بالأصباغ وتمويج شعرهن "

هؤلاء التلميذات اللواتى حظرت عليهن هذه المظاهر هن زوجات المستقبل وأمهاته ، وأولئك المدرسات اللواتى منعن من البذخ والتبرج هن صانعات أولئك الزوجات والأمهات . والمدارس التى تضم هؤلاء وأولئك هى المصانع التى تخرج ربات البيوت وأمهات الجيل . فحسنا تصنع جارتنا القريبة فى طريقة صنعهن على هذا المنوال !

ولقد شهدت السنوات العشر الأخيرة فى مصر انقلابا عجيبا فى مظاهر التلميذات والبنات المصريات على وجه الخصوص . ذلك أن السيدات المتزوجات وحدهن كن قبل هـذه السنوات العشر يستبحن لأنفسهن استخدام "التواليت" للتجمل ؛ وكان الفرق بين السيدة والآنسة أن الثانية تبدو بوجه طبيعى وأظافر كذلك ، فاذا بهذه السـنوات الأخيرة تزيل الفوارق بين السيدات والأوانس ، فجميعهن مطليات الوجوه والشفاه ، مدهونات الأظافر طويلاتها وبعض أوانس من يسمونهم " الطبقات الراقية " ظلمـا للرقى ! يدخن كذلك ويباح لهن من السهر والاختلاط ما كان منذ قليل وقفا على السيدات !

وهذه فوضى لا مثيل لهـا فى كثير من البلاد الأوربية نفسها حتى الآن ، هى فوضى القرود حين تقلد ، فـا نزيد نحن فى شىء — ولا سيما المرأة المصرية — على أن نتبع

طريقة القردة فى التقليد ! ومصيبتنا العظمى هى فى "الطبقات الراقية" فقد بات هذا الاسم مرادفا لقولك: "الطبقات المستهترة" . فكل من أرادت أن تكون اليوم "راقية" وجدت الطريق ممهدا سهلا ، وما عليها إلا أن تستهتر فتندمج فى هذه الأوساط .

لقد أعجبتنى كلمة قالتها إحدى الراقصات : إن هناك مظاهر وأعمالا تصنعها الراقصة ! فيقال عنها : "أرتست" فاذا صنعتها أخرى من بعض الأوساط قيل عنها : "بنت ذوات". وهـذه المظاهر : هى التدخين وتناول المشروبات الروحية والتبذل فى الحفلات الساهرة والاستهتار بكل قيود المجتمع والأخلاق !

فى مصر "كوليرا" استهتار ! وباء يجتاح اليوم جميع الحواجز ، وهو يهب أولا من ناحية "بنات الذوات" ثم يصيب الطبقة الوسطى — وهى عماد المجتمع فى كل شعب — وينحدر إلى الأوساط الفقيرة فى عنف كالإعصار !

والأمة فى شبه دوار لا تكاد تنتبه إلى هـذه "الكوليرا" الوبائية. والدولة زائغة البصر لا تكاد تتبين قوة العاصفة ، والمجتمع فى أثناء ذلك تنهار أركانه كالحروف التى تنخرها المياه المتسربة ثم يحرفها التيار .

ولم يكن يلذ لنا — مع ذلك — إلا أن نوجه النقد البليد إلى النهضة التركية لخروجها على التقاليد . فها هى ذى النهضة التركية تفيق قبلنا ، وقد جنت ثمرات النهوض ، بينما كنا نحن فى شبه دوار كالمخمورين الذين لا يرون الشخوص إلا أشباحا وخيالات . فهل لنا أن نصحو من هـذا الخمار وأن نفيق من ذلك الدوار لنصنع فقط ما صنعته جارتنا القريبة فى مصانع الزوجات والأمهات ؟ !

إن البيت المصرى ينهار رويدا رويدا ، بل ينهار فى عنف وقسوة ، فى تيار المدنية الكاذبة ، فى تيار الحفلات الساهرة والمظاهر المستهترة . ينهار على رنين الكئوس فى "البار الأمريكانى" داخل البيوت "والجرسنيرات" وعلى الدخان المتصاعد فى لفائف التبغ بين الشفاه المصبوغة والأظافر الطويلة المدهونة . وما وراء ذلك كله من أشياء !!!

إن الأسرة المصرية تنهار لأن المرأة المصرية خرجت من "الحريم" خلف "الشيش" إلى أضواء الليالى الحمراء دفعة واحدة بلا تدرج ، مستجيبة لأصوات طائشة ظلت تدعوها باسم المدنية واسم الحرية واسم "باريس" و"هوليوود" ! ؛ وأصوات سفسطائية ظلت تدعوها باسم حق المرأة فى المساواة المطلقة بالرجال !

والفريق الأول لا تستحق دعواه المناقشة . أما الفريق الثانى فلا ندرى كيف نفهمه أن المساواة ينبغى أن تنصرف إلى أداء واجبات الجنس كامله فى المجتمع ؛ وأن وظيفة المرأة فى تكوين البيت الصالح والأسرة السليمة لا تقل شرفا إن لم تزد على وظيفة الرجل

فى العمل والإنتاج ؛ وأن انصراف المرأة عن واجبها الأول لا يجوز إلا تحت تأثير عوامل قاهرة وظروف استثنائية عامة أو خاصة ، كحالة الحروب ، وحالة نقص الأيدى العاملة من الرجال ، وحالة فقدان العائل وضرورة الارتزاق .

لا ندرى كيف نستطيع أن نفهمهم هذه البديهيات ، وهم يحسبون أنفسهم رواد العصر الحديث بهذه الدعوة السفسطائية ، ويخشون أن يفقدوا لقب " الرواد " إذا اعتدلوا فى الدعوة ، وآمنوا بمنطق الواقع فى المجتمع المصرى خاصة . ذلك المجتمع الذى يتعطل عن العمل نصف المتعلمين فيه وكثيرون من غير المتعلمين لضيق مجال العمل على الشبان !

" فى مصر أزمة سيدات " و " فى مصر أزمة أمهات " هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها ، ولا تجدى فى دفعها المؤتمرات النسوية والخطب الرنانة عن حقوق المرأة . فمصر لا تطلب اليوم خطيبات ومحاميات وموظفات فى المكاتب والدواوين . إنما تريد أمهات صالحات يقفن تيار الانحلال ، ويصنعن الجيل الجديد صنعا متقنا ، ويبنين البيوت المصرية على أساس متين ؛ وبذلك يؤدين الواجب المقدس الذى تفرضه عليهن النهضة المصرية ، والذى تفرضه كذلك وظيفة الجنس الطبيعية .

" ومصانع " الزوجات والأمهات هى المدارس ؛ فإذا أعددنا لهذا المصنع حتى يخرج زوجات وأمهات صالحات ؟ لقد زودناه بنفس الأدوات التى تزود بها مدارس البنين ، واتبعنا فيه نفس الطرائق التى نصنع بها البنين ؛ ولما كنا لا نستطيع أن نغير ما صنعته الطبيعة تغييرا تاما ، فقد اكتفينا بتشويهه ، فأخرجنا متعلمات ، لاهن فتيات ولا هن فتيان كالأغربة تحجل ثم لا تطير أو تسير !

ولقد علقت المقطم على برقية الأهرام التى أوردناها فى صدر هذا الكلام فقالت :

"فهذا الذى لجأت إليه تركيا بعد من عزم الأمور . وقد أحسنوا إذ بدأوا به فى معاهد البنات ، فالشعوب الشرقية بحاجة إلى أمهات صالحات لا إلى نساء طائشات متبذلات . فانك قد تسمع عن امرأة مرتب زوجها لا يكاد يبلغ أربعين جنيها تشترى فستانا بعشرة جنيهات ! فهذا هو السفه الذى من نتائجه الحرمان فى المستقبل وسوء تربية الأولاد والتعرض للهالك .

فليذهب مثل تركيا فى الادخار بين جميع الشعوب الشرقية فما أحوجنا جميعا الى مثل هذه الأمثال " .

ونحن ننظر إلى المسألة من وجهة أعم من التوفير والادخار ، ونطالب بمثلها لا للتلميذات والمدرسات فحسب ، بل لجميع الفتيات والسيدات ، لعل فيها بعض التقويم والترميم لهذا المجتمع الذى يتحلل كل يوم وينهار .